

## 152365 - الفرق بين ( أفلا تسمعون ) و ( أفلا تبصرون ) في سورة القصص

### السؤال

أريد أقوال أهل التفسير في هذه الآيات ، وما قول المفسرين في حكمة نهاية كل آية ، الأولى ( أفلا تسمعون ) والثانية : ( أفلا تبصرون ) . والآيات هي : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) .

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

الآيات المقصودة في السؤال هي الآيات/71-72 من سورة القصص ، حيث يقول الله عز وجل : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ )

ولبيان المعنى العام لهذه الآيات ننقل أقوال أهل التفسير :

يقول ابن كثير رحمه الله :

" يقول تعالى ممتناً على عباده بما سخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوامَ لهم بدونهما ، وبين أنه لو جعل الليل دائماً عليهم سمرماً إلى يوم القيامة لأضرَّ ذلك بهم ، ولسئمته النفوس وانحصرت منه ، ولهذا قال تعالى : ( مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ) أي : تبصرون به وتستأنسون بسببه ، ( أَفَلَا تَسْمَعُونَ ) . ثم أخبر أنه لو جعل النهار سمرماً دائماً مستمراً إلى يوم القيامة لأضرَّ ذلك بهم ، ولتعبت الأبدان ، وكَلَّتْ من كثرة الحركات والأشغال ؛ ولهذا قال : ( مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ) أي : تستريحون من حركاتكم وأشغالكم ( أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) " انتهى.

" تفسير القرآن العظيم " (6/252)

ويقول ابن جرير الطبري رحمه الله :

" ( أَفَلَا تَسْمَعُونَ ) يقول : أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتعظون ، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء ، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل ، فينعم باختلافهما كذلك عليكم .

( أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) يقول : أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم ؛ رحمة من الله لكم ، وحجة منه عليكم ، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره ، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك " انتهى.

" جامع البيان " (19/612-613)

ثانياً :

وفي بيان الحكمة في ختم الآية الأولى بقوله عز وجل : ( أفلا تسمعون ) ، والثانية بقوله تعالى : ( أفلا تبصرون ) قولان لأهل العلم :

القول الأول : أن الآية الأولى ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ) إنما تتحدث عن " الليل " ، والتفكر في شأنه ، وأن من نعم الله على البشر أن جعله مؤقتاً وليس دائماً ، والحديث عن " الليل " يناسبه ختم الآية بقوله : ( أفلا تسمعون ) ، فإن حاسة البصر تضعف فيه ، وتبقى حاسة السمع أكثر فاعلية ، فكان ختم الآية بالدعوة إلى الاعتبار من خلال السماع أنسب من غيرها من أدوات الاعتبار .

وأما حين تحدث عز وجل في الآية الثانية عن نعمة " النهار " ، فقال سبحانه ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ) ناسب أن يختتمها بالدعوة إلى التبصر في نعمة الله عز وجل ، فالنهار يناسبه الإبصار ، والليل يناسبه السمع .

يقول ابن القيم رحمه الله :

" خص سبحانه النهار بذكر البصر لأنه محله ، وفيه سلطان البصر وتصرفه ، وخص الليل بذكر السمع لأن سلطان السمع يكون بالليل ، وتسمع فيه الحيوانات ما لا تسمع في النهار ؛ لأنه وقت هدوء الأصوات ، وخمود الحركات ، وقوة سلطان السمع ، وضعف سلطان البصر ، والنهار بالعكس ، فيه قوة سلطان البصر ، وضعف سلطان السمع " انتهى من " مفتاح دار السعادة " (1/208).

ويقول العلامة زكريا الأنصاري رحمه الله :

" ختم آية الليل بقوله : ( أفلا تسمعون ) ، وآية النهار بقوله : ( أفلا تبصرون ) لمناسبة الليل المظلم الساكن للسمع ، ومناسبة النهار النير للإبصار " انتهى من " فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن " (ص/261) ترقيم الشاملة. ويقول العلامة السعدي رحمه الله :

" وقال في الليل : ( أفلا تسمعون ) ، وفي النهار : ( أفلا تبصرون ) ؛ لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر ، وعكسه النهار " انتهى من " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (ص/623).

القول الثاني :

ما قرره الزمخشري - وتبعه عليه بعض المفسرين ممن اعتمد عليه في كشفه - حيث يقول:

" قرن بالضياء ( أفلاً تَسْمَعُونَ ) لأنَّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ، ووصف فوائده .

وقرن بالليل ( أفلاً تُبْصِرُونَ ) لأنَّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه " انتهى.

" الكشف عن حقائق التنزيل " (3/433) .

وقد توسع الألوسي رحمه الله في " روح المعاني " (107/20-108) في بيان أوجه أخرى دقيقة يمكن أن تقال في بيان الفرق بين الخاتمتين .



والله أعلم .